

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

ملخص محاضرات مقياس: الدراسات المؤسسة لعلم الاجتماع. السنة الثالثة، السداسي

الخامس. السنة الجامعية: 2024/2023. أ. سليمان سليمان.

**ملخص المحاضرة 1: الانتحار عند دوركايم.**

يجب على الطالب أن يعلم بداية، بأن دوركايم لم يساهم في التأسيس لعلم الاجتماع بنظرية الانتحار وحدها، وإنما فعل ذلك بتقديم أعمال كثيرة وتأليف كتب عدة. من أهمها وأشهرها مايلي:

- تقسيم العمل الاجتماعي (1893)،

- قواعد المنهج السوسيولوجي (1895)

- الانتحار (1897)،

- الأشكال الأولية للحياة الدينية (1912)

في ثنايا كتابه تقسيم العمل، نجد دوركايم قد احتفى بعدة سمات خصت المجتمعات الحديثة: تباين الحرف، اختلاف الأفراد، تراجع السلطة التقليدية، تنامي سلطة العقل، تفشي روح المبادرة الفردية.. لكن الذي أرق دوركايم هو مع كل هذا الانفتاح والتقدم في هذا العصر، إلا أن الإنسان لم يكن شاعرا بالسعادة ولا راضيا بوضعه الجديد في المجتمعات الحديثة! انطلق دوركايم يبحث في الانتحار من تساؤل سوف يغدو لاحقا من أهم عقائده في التحليل السوسيولوجي: إلى أية درجة يكون الأفراد محكومين بالوقائع الجماعية؟ لماذا اختار دوركايم البحث في ظاهرة الانتحار بالضبط؟

قد تكون الأسباب متعددة، لكن الذي يهمننا كثيرا هو إن دوركايم ظل دائما متمسكا بقناعة راسخة لديه استمات في الدفاع عنها حتى مماته مفادها أن الظواهر الاجتماعية لا تُفسّر إلا بظواهر اجتماعية مثلها. لذا أخذ على عاتقه إبطال الأسباب النفسية والنفسية المرضية، كما أبطل أسباب التقليد والمحاكاة والوراثة.

إن دوركايم قد اختار ظاهرة الانتحار بالضبط، لأنه لو استطاع أن يبرهن بأنها ذات أسباب اجتماعية على الرغم من أنها تبدو محض تصرف فردي (أي نفسية)...، فيكون بذلك قد قضى على الكل التفسيرات غير السوسيولوجية، وعندما يكون قد نجح في تقرير قاعدته الذهبية: تفسير الاجتماعي بالاجتماعي. (نسب الانتحار ظاهرة اجتماعية، وعليه يجب تفسيرها بظواهر اجتماعية.. وهي: التماسك الاجتماعي الضعيف والقوي، وغياب المعايير.. وهو ما يبدو قد نجح فيه فعليا).

بدأ دوركايم بتعريف ظاهرة الانتحار فقال: "هو كل حالة وفاة ناتجة عن فعل إيجابي أو سلبي بصورة مباشرة أو غير مباشرة تقوم بها الضحية نفسها، وهي تعلم أن ذلك الفعل يؤدي إلى تلك النتيجة".

لقد جمع دوركايم المعطيات المتعلقة بالانتحار من أقطار دول أوربية عدة ثم بدأ في تحليلها قصد اختبار نموذج التحليلي الذي أقامه بغية تفسير المشكلة التي هو بصدد بحثها.

### النموذج التحليلي لظاهرة الانتحار عند دوركايم:

النموذج التحليلي في البحوث العلمية عامة والاجتماعية خاصة هو جملة من الفرضيات تكون نسقا مترابطا ترابطا منطقيا، أو لنقل بكلمة واحدة النموذج التحليلي هو أقرب إلى النظرية في العلم التي تفسر ظاهرة ما، ونموذج دوركايم هذا يتكون من فرضيات ثلاث:

- التماسك الاجتماعي الضعيف يؤدي إلى الانتحار،

- التماسك الاجتماعي القوي يؤدي إلى الانتحار،

- غياب المعايير يؤدي إلى الانتحار.

تبعاً لهذه الافتراضات الثلاث، فإن دوركايم تمكن من تصنيف الانتحار إلى ثلاثة أنواع:

الأول سماه: الانتحار الأناني ( عند الشعور بالوحدة وفقدان الاندماج الاجتماعي )

الثاني سماه: الانتحار الإيثاري ( عندما يكون الاندماج قويا إلى درجة التضحية من أجل الآخرين).

الثالث سماه: الانتحار الانومي أو اللامعياري ( ويحدث عندما تتلاشى وتغيب المعايير المحددة لسلوكيات الأفراد ).

نتيجة لمواصلته لتحليلات هذه الأصناف، توصل إلى نتائج أكثر دقة ووضوح:

- فبخصوص الانتحار الأناني، أدخل متغيري الدين(المذهب) والأسرة، باعتبارهما: **إطاران اجتماعيان مُدمجان**. ففيما يتعلق بالمذهب الديني، فلاحظ بأن نسب الانتحار ترتفع عند البروتستانت أكثر منه عند الكاثوليك. و فيما يتعلق بالأسرة عموماً فقد عثر على أن نسبة الانتحار تزيد مع التقدم في العمر، وبخصوص الجنس، فإن الذكور ينتحرون أكثر من الإناث، وأن غير المتزوجين ينتحرون أكثر من المتزوجين لدى فئة الرجال(إلى سن معينة)، وأن المتزوجين بغير أطفال منهم ينتحرون أكثر مقارنة مع المتزوجين ولهم أطفال..

لم يكتف دوركايم بهذه النتائج على أهميتها، وإنما ذهب إلى مرحلة التفسير: فالبروتستانت ترتفع لديهم نسب الانتحار أكثر لأنهم يعيشون متفردين وقد تركوا تنظيماتهم ومؤسساتهم الاجتماعية العتيقة، فضعف لديهم التماسك الاجتماعي.. عكس الكاثوليك الذين حافظوا على مؤسسات أهلية تراثية توحدتهم و تبقيهم يعيشون في تماسك اجتماعي مستمر.. أما الأفراد الذين ينتحرون بأسباب أسرية فغالبا ما

يكونون من الذين يعانون من الوحدة: فكلما فقد الرجل الأطفال كلما هددته الانتحار، وكلما فقد الشريك والأطفال كلما زاد التهديد..

أما بخصوص متغير الأسرة، فقد بين بأن العزاب من الرجال ينتحرون بنسب أكبر من المتزوجين، وهؤلاء يُقبلون على الانتحار أثر من المتزوجين الذين لديهم أطفال.. وقد فسر ذلك بأن الفرد كلما كان أقرب إلى الوحدة والانعزال كلما كان عرضة للانتحار.. لأن التماسك الاجتماعي يكون ضعيفا في هذه الحالات، مما يتسبب في ارتفاع للرغبات لدى الضحايا دون إمكانية تحقيقها.. من أجل ذلك فقد قرر أنه يجب تدخل قوة أخلاقية خارجية لتسوية الوضعية..

- أما فيما يتعلق بالانتحار الإيثاري، فقد مثل لذلك بالمرأة التي تقبل حرق نفسها بعد وفاة زوجها تعبيراً على شدة الالتحام به.. وريان البارجة الحربية الذي خسر المعركة ورفض الاستسلام للعدو فأقبل على الانتحار حماية لشرف أمته.. فالتضحيات من أجل الغير في هذه الحالات، تكون بسبب شدة التماسك الاجتماعي..

- أما الانتحار اللامعاري (الأنومي)، فيحدث عندما تغيب القواعد الأخلاقية عن المجتمع فيضعف الضمير الأخلاقي.. وسبب ذلك حسب دوركايم، الهوة الكبيرة بين التطلعات لدى الأفراد وبين إمكانيات تلبيتها.. وقد لاحظ دوركايم هذا حقيقة في المجتمعات الحديثة عندما تتعرض لانتكاسات اقتصادية وسياسية..

الخلاصة: استخلص دوركايم أن الظواهر الاجتماعية تحكم الظواهر الفردية: بمعنى حتى ولو كان الانتحار يبدو فعلاً فردياً، يُقدّم عليه الفرد بمحض إرادته وهو ما لا ينكره دوركايم، إلا أن أسبابه الأصلية تكون دائماً اجتماعية..

## ملخص المحاضر 02. مدرسة العلاقات الإنسانية:

لقد ركز كل من فيبر ودوركايم وتوكفيل في بحوثهم الاجتماعية على ظواهر تخص المجتمعات الحديثة. فوجد مثلا فيبر قد أولى عناية كبرى لمفهوم العقلانية أس البحث العلمي المتخلص من الأهواء و العواطف والأساليب التقليدية..

لقد أخذ هذا التوجه العقلاني الحداثي يتبلور على أرض الواقع في بعض الدول الغربية ومن أهمها الولايات المتحدة الأمريكية. فهناك قد ظهر فريدريك ونسلاو تايلور (1856-1915) الذي عزم على القطيعة التامة مع الفوضى التي كانت سائدة في أساليب التصنيع الأمريكي غير المبنية على التخطيط و التنظير العلميين. فشرع ينظر لما صار يسمى لاحقا: Organisation scientifique du travail (OST). فانطلق من فكرة مفادها أنه من ضمن أساليب إنتاجية كثيرة داخل

المصانع لا يمكن أن توجد إلا واحدة تكون هي الأنجع والأفيد والأصلح في رفع الإنتاج وتجويده، فوضع عبارته الشهيرة: The one best way. إن أهم ما أدخله تايلور على أساليب العمل هو التقسيم العمودي للعمل، حيث جعل الإدارة والمهندسين هم من ينظر وبيتكّر طرق العمل..، بينما رؤساء المصالح يبلغون التوجيهات ويراقبون التنفيذ، أما العمال فينفذون.. كما زاد تقسيما ثانيا سماه التقسيم الأفقي و يقضي بتفتيت العمل إلى حركات محددة زمنيا، تكون قابلة للحساب والمراقبة و تشي بمسؤولية من يخل بها.

بعد ذلك ساهم هانري فورد (1863-1947) في هذا التطور العقلاني للعمل حيث أضاف أسلوبا جديدا تمثل في العمل بالسلسلة بحيث لم يعد العامل هو من يتحرك إلى العمل ولكن العمل هو من يأتي إليه.. ففضى بذلك على إضاعة الوقت.. وزاد الانتاج..

أما إلتون مايو(1889-1949)، فقد أجرى دراسة في ورشات هاوثارن المتخصصة في إنتاج قطع خاصة بالهاتف الذي يضم 29000 عاملا بمدينة شيكاكو استمرت عدة سنوات. فما هي خلاصة هذه الدراسة؟

بداية، لقد لاحظت إدارة هذا المصنع أنه بالرغم من الظروف الجيدة الموفر لصالح العمال: ارتفاع الرواتب بالنسبة للمتوسط، توفر المطاعم، التمريض وحتى المستشفى..، إلا أن مظاهر الامتعاض و عدم الرضى لدى العمال هي السائدة داخل المصنع! مثل الغيابات، كبح الإنتاج، ضعف جودة الإنتاج.. عندها فكرت الإدارة في إدخال تحسينات على الإضاءة وأجرت التجربة على مجموعتين، تكون الأولى مجموعة ضابطة( لا يدخل تحسين الإضاءة عليها)، بينما تكون الثانية مجموعة تجريبية( أي هي من تُحسن لها الإضاءة)، وبعد أخذ المعطيات وتحليلها ومقارنتها تُستخلص النتائج ويُنظر هل يمكن أن يكون للإضاءة دور ما في رفع الإنتاج و تحسينه أو لا؟ الغريب في الأمر أنه لوحظ بأن الإنتاج لم يرتفع عند المجموعة التجريبية فقط بل ارتفع عند المجموعة الضابطة أيضا!!؟ فباعثار أن الإدارة لم تستوعب هذه النتائج ولم تكن مؤهلة لتذهب إلى العمق قصد الفهم والتفسير، فقد استدعت فريقا من متخصصي علم النفس الاجتماعي على رأسهم إلتون مايو.. عزل الفريق مجموعة عاملات متطوعات من أجل مواصلة التجربة نفسها. ثم أدخلوا تعديلات تحسينية على عدة عوامل: منها نظام الأجور..، فترات الراحة أثناء العمل..، تقليص الحجم الساعي للعمل.. إلغاء عمل يوم السبت.... وفقد لوحظ أنه كيفما كانت اتجاهات التغييرات، فإن الانتاجية ترتفع دائما و عند جميع العمال..، بحيث أنه على مدار سنة فقد ارتفع الإنتاج إلى 20%. فكيف فسرت هذه النتائج؟ لقد فسرت بما صار يسمى لاحقا: L'effet Hawthorne أي ظاهرة أو أثر هاوثارن، لكن ماذا يعني ذلك؟

أمام هذه الظاهرة، وجب التوقف عند عاملين: الأول هو أنه يمكننا أن نتوقع ردات فعل إيجابية من أشخاص إذا ما علموا وشعروا بأنهم تحت الملاحظة الهادفة إلى تحسين أوضاعهم في العمل ولو لم تحسن أوضاعهم فعليا.. أما الثاني فهو أن التجربة قد أثبتت أهمية العيش في جماعة وأثره على سلوكيات كل واحد. فالأفراد يعدلون سلوكياتهم إيجابيا( هنا العمال يجتهدون في تحسين منتجاتهم ويكفون عن السلوك المضر بالإنتاج)، بمجرد أنهم يشعرون بأن الإدارة تهتم بهم و تسهر على شؤونهم و تقدر نشاطاتهم ولو قبل أن تُحسن أوضاعهم فعليا، خاصة إذا كانوا في وضعيات ضعف داخل المؤسسة!

**الخلاصة:** المصنع مؤسسة اجتماعية تحكمها قواعد وضوابط سلوك خاصة ليس بالضرورة أن تكون سائدة في المجتمع العام.

### ملخص المحاضرة 03. الملجأ أو ملاذات لإرفينغ كوفمان (1922-1982)

إرفينغ كوفمان ممثل مدرسة شيكاكو الثانية، ساهم في إرساء قواعد التحليل الاجتماعي بتأليف عدة كتابات شهيرة منها:

- تصوير النفس في الحيات اليومية 1956،

- ملاذات Asiles 1961،

- وصمة عار 1963،

- طقوس التفاعل 1967،

- تحليل الإطار 1974،

- أشكال الكلام 1981.

**مقدمة:** الملجأ هو الكتاب الذي جعل كوفمان يتألق في مجال السوسولوجيا. يتناول هذا المؤلف بالدرس و التحليل الظروف الاجتماعية للمرضى العقليين المحتجزين بالمشفى

العقلي. من أجل ذلك تردد كوفمان لمد أشهر (1955-1956) على المشفى الكبير بالولايات المتحدة الأمريكية. عرف هذا الكتاب قبولا منقطع النظير في سبعينيات القرن الماضي، خاصة في أوساط الجمعيات المناهضة لمأسسة المرض العقلي.

**تقنية جمع المعطيات: الملاحظة بالمشاركة:** استفاد كوفمان من منحة من معهد الصحة العقلية. باشر ملاحظاته في مشفى سانت إليزابيث في واشنطن. لكن ما الذي كان يريد أن يدرسه ويبحث فيه؟

فبعيدا عن المرض العقلي ذاته، أراد أن يكشف : الطريقة التي يعيش بها المرضى وكذا الكيفية التي ينسجون بها علاقاتهم داخل الوسط الاستشفائي بصفة ذاتية. من أجل ذلك، ركز كوفمان على المجريات اليومية للمرضى مهتما بأنماط قابلية حياتهم الاجتماعية الجديدة. من أجل ذلك اعتمد على أداة الملاحظة بالمشاركة التي تقضي أن يعيش الباحث فعليا في ثقافة معينة قصد تفهم خبايا وأسرار الحياة اليومية وقواعدها المنظمة. لقد استخدم كوفمان هذه التقنية لدراسة المصحة النفسية، وقد جمع تحليلات ونتائج هذا العمل في كتاب سماه "الملجأ"، وهو أحد كتبه الأوسع شهرة في العالم. فقد ألزم نفسه وفقا لهذه التقنية، بالعيش في المصحة النفسية المسماة "القديسة إليزابيث" في واشنطن وقد خالط المرضى وتصرف هناك على أنه شخص معزول مثلهم. ولقد اعتبر في عمله البحثي هذا أن المشفى ليس إلا مؤسسة اجتماعية متخصصة في "حراسة" الناس. دون أن يتدخل في أصل المرض العقلي، قام كوفمان بوصف دقيق ومفصل لكافة مناحي الحياة اليومية للمعزولين سواء أكانوا معالجين أو معالجين في مسعا لفهم تماسك سلوكيات المبحوثين وهم تحت الضغوطات التنظيمية الممارسة داخل المشفى. وقد اختار في دراسته أن يأخذ بعين الاعتبار وجهات نظر المحتجزين.. وبعد أن جمع من المعطيات القدر الكافي، انتقل إلى التحليل واستخلاص النتائج.. من ذلك أنه قرر بأن سلوكيات المرضى تخضع لقراءتين:



- قراءة خارجية وهي المتعلقة بالجانب الطبي والعقلي وهي تفسر تصرفات المرضى على أنها مؤشرات على عدم التكيف مع المجتمع والحياة الطبيعية، وقراءة داخلية ترى بأن هذه التصرفات ذاتها تنتج عن تكيف عقلائي منسجم تماما مع سياق الاستشفاء والضغوطات) مثل أن يستغل المرضى بعض الأماكن في المشفى كالمراحيض أو أسفل السلالم..، أو بعض الأوقات التي تخف فيها المراقبة لأجل الالتفاف على بعض التنظيمات والقواعد الضاغطة..). كما يرى كوفمان في دراسته هذه، بأن المرضى العقليين والمؤسسة العازلة لهم هم بمثابة موضوع إثنولوجي تماما كقبيلة بعيدة حيث يتعين الابتعاد عن الأحكام المسبقة أو المألوفة عنها، وبالمقابل يجب التمسك بمحاولة استبطان قيمها ومنطقها.. وقد حافظ كوفمان على هذا المنهج الإثنولوجي في كافة أعماله.

### مفهوم المؤسسة الكلية:

لقد أسس هذا المفهوم باتباع طريقة إمبيريقية ميدانية أثناء تواجده الطويل في المشفى. وبناء على هذه التجربة عرفه كما يلي: "مكان إقامة وعمل، يوجد به عدد كبير من الأفراد قد وضعوا في ظروف منقطعة عن العالم الخارجي لمدة طويلة نسبيا، فيها يقضي المحتجز حياة جماعية منعزلة وفق أنماط منظمة وخاصة بشكل واضح ودقيق".

وقد ماثل كوفمان في بحثه هذا المشفى بالسجن والثكنة والملجأ وبعض دور الحضانة... أين تقام الحواجز بين الداخل والمجتمع الخارجي. إن ميزتي الإكراه والانغلاق في المؤسسة محل الدراسة، قد شكلا له اهتماما بالغا في تجربته. كما شدّت انتباهه الهوة الكبيرة وغير القابلة للجسر التي تكونت بين العمال والمرضى، وعليه فإن التبادل الاتصالي بين الفريقين يكون عادة محدودا والاحتكاك ضعيفا.

## نظرية الأنا عند كوفمان:

من أهداف كوفمان محاولته التأسيس تدريجيا لنظرية الأنا في علم الاجتماع. تقوم هذه الأخيرة على ما اكتشفه كوفمان والمتمثل في قدرة الفرد داخل المشفى على التملص ومقاومة الإكراه بفضل وجود هوامش للحرية التي يستغلها المريض من أجل مواجهة الإكراه المؤسساتي، أي أن المريض يجد نفسه دائما مضطرا للتعديل في شخصيته وأناه بما يتناسب ووضعه الضاغط عليه داخل المشفى، وهذا ما كان ينجح فيه المرضى عادة وهم يواجهون النظام الداخلي ولو نسبيا. هذه الملاحظات كانت أس نظرية الأنا المتميزة بالتوتر بين الإدماج القسري للمرضى وبين مقاومتهم للمؤسسة.

إذن، فكوفمان قد أعطى أهمية كبيرة لهذا الحريات الهامشية التي يتمكن المريض من اقتناصها لصالحه في إطار من المقاومة الواعية. وعليه فإن مفهوم: التكيف الثانوي، سيسهل عليه تطوير النظرة إلى تصرفات المرضى. هذا المفهوم هو أهم نتيجة توصل إليها الباحث.

## التكيف الأولي والتكيف الثانوي:

- يقصد بالتكيف الأولي الاندماج الكلي للمحتجزين داخل المؤسسة الكلية سواء برضاهم أو عن طريق الإكراه.
- أما التكيف الثانوي فهو مختلف الوضعيات التي يتخذها المرضى من أجل الحصول إما على أشياء ممنوعة بطرق مشروعة، وإما الحصول بوسائل غير مشروعة على أشياء مباحة..

وبهذا، يظل المريض يبتعد عما رُسم له من الهيئة الاستشفائية محاولا التحرر من قبضتها ومن التنظيمات المسبقة والمعدّ لها سلفا. في هذه الظروف يتموقع المريض في منزلة بين المنزلتين: الانقياد للمؤسسة من جهة وفي الوقت عينه معارضته لها..

#### ملخص المحاضرة 04. اختيار الشعب. بول فليكس لازارسفلد (1901-1976)

##### مقدمة:

كانت بدايته في جامعة Newark ثم انتقل إلى Princeton ، حيث أسس مركزا بحثيا سنة (1935). بعد ذلك انتقل مع فريقه إلى جامعة كولومبيا واستقر بها، أين رقي إلى أستاذ علم الاجتماع سنة (1940). كانت معظم نشاطاته بالمركز الذي أسسه وهو بمثابة مخبر أطلق عليه اسم: مكتب البحث الاجتماعي التطبيقي، يشغل بصفته مقابلة في البحوث الخاصة بالعلوم الاجتماعية، التي لم يكن لها نظير وقتها في العالم، حتي في الو.م.أ. لقد لاق هذا النشاط الجديد معارضة وخصومة شديديتين خصوصا في أوروبا، بدعوى كونها مؤسسة تعنى بالبحث الإمبريقي الكمي على حساب المنهج النظري الكمي، وذلك بالاعتماد على ظاهرة صبر الآراء فقط. وبسبب هذه التوجهات البحثية، فقد أُتهم من جهة، بأنه كان في خدمة سلطات الأمر الواقع، بإعطائها إجابات لأسئلة تطبيقية كانت تطرحها، ومن جهة أخرى، كونه جعل من الجامعيين مجرد "خبراء" تقنيين عوض أن يكونوا منظرين..

لكن هذا الوضع النقدي لأعماله لم يمنع نموذج لازارسفلد من أن ينتشر واسعا بعد الحرب العالمية الثانية في و.م.أ ابتداء ثم العالم كله لاحقا، مع تباينات من مكان إلى آخر.

## موضوع بحث لازارسفلد:

لم يُعرف لازارسفلد بسبب هذه النجاحات المنتقدة فقط، وإنما ترك بصمات مهمة في ميدان دراسة وسائل الإعلام حيث بنى مقاربة ينتقد فيها كلا من مدرسة فرانكفورت الموسومة بطابعها المضارباتي و التنظير ذي روح العصر التي تريد إثبات التأثيرات المباشرة و الكثيفة لوسائل الإعلام على آراء و سلوكيات الناس ( خاصة أبحاث: Harold Laswell ). لقد تبنى لازارسفلد مع فريقه أطروحة تعمل على إثبات محدودية آثار وسائل الإعلام.

فبهذا الخصوص، انطلق لازارسفلد من السؤال التالي: ما هو أثر وسائل الإعلام على الآراء والأذواق واتخاذ القرارات لدى الأفراد؟ لقد شغله هذا السؤال منذ الثلاثينيات. لقد كان هذا السؤال يحمل نوعا من التحدي والمفارقة على اعتبار أن التوجه حينئذ كان يقضي بأن وسائل الإعلام الضخمة صارت بلا ريب جزء من يوميات الناس، في الوقت الذي كانت فيه الإشهارات التجارية و السياسية في أوجها. من جهة أخرى كان العديد من الباحثين يعتقدون بأن الوسائل الإعلامية لها تأثير حاسم على الأفراد. لقد رد لازارسفلد على هذه الطروحات بسلسلتين من البحوث المنشورة:

## نتائج البحث:

ظهرت السلسلة الأولى ستة 1944 عندما نشر مع برنار بيريلسون وأزال غودي: اختيار الشعب، وهي عبارة عن دراسة مخصصة لاختيارات الناخبين في أوهايو أثناء حملة الانتخابات الرئاسية الأمريكية سنة 1940. لقد كان موضوع التحقيق هو التأكد من: هل يمكن لاختيار الناخبين أن يُعَدَّلَ بفعل تعرضهم لوسائل الإعلام؟ النتيجة كانت مفارقة: وسائل الإعلام ليس لها سوى أثر جد محدود على الانتخابات لأن هذه الأخيرة تُعتبر أساسا من شؤون الجماعة: أي أن الفرد في النهاية ينتخب بالطريقة وعلى المرشحين الذين ينتخبهم محيطه الاجتماعي. كما تفعل جماعة

الانتماء(العائلة، الأصدقاء، علاقات العمل، الجيران، الجماعات الينية..). ثم تلاحظ الدراسة بأن الجماعات تصير متجانسة أكثر فأكثر كلما اقترب موعد الانتخابات. وأن المترددين يعترفون أنهم كانوا متأثرين بظغوطات المحيط الاجتماعي، وهذا ما يثبت قوة الضبط الاجتماعي الذي يفرضه ذلك المحيط.

في دراسة أخرى « Voting » نُشرت سنة 1954 عُرزت هذه النتائج وزادت عليها نتائج أخرى منها أن الناخبين الذين لم يغيروا آراءهم هم الأكثر عرضة لوسائل الإعلام!! إذن، وسائل الإعلام لا يمكنها تغيير القنوات الانتخابية، وإنما غاية ما يمكن أن تقوم به هو تشجيع الناخب للاستمساك بممثلته ومرشحه الذي كان قد اختاره مسبقاً.

## ملخص المحاضرة05: الفلاح البولندي.

### مقدمة:

في عام 1890 لم تكن تضم مدينة شيكاغو سوى مليون ساكن، بينما قفز هذا الرقم إلى قرابة 3.4 مليون عام 1930.. يعود هذا الارتفاع الديمغرافي في جانب منه إلى الهجرة المكثفة خاصة من الأوربيين الذي كانوا يريدون تحسين وضعياتهم المعيشية بالانضمام إلى مجموعات الأيدي العاملة في المصانع التي بدأت تعرف توسعا وتخصصات متنوعة بهذه المدينة.. من الأوربيين الذين دفعتهم الظروف الاقتصادية خاصة وتكثفت هجرتهم إلى هناك كان هم البولنديين.. فبفعل أعدادهم الكبيرة تكونت أحياء واسعة بهذه المدينة.. ومع مرور الأيام بدأت تطفوا إلى سطح الأحداث الاجتماعية في هذه الأحياء الهشة ظواهر أقلقّت السلطات المحلية كما لفتت انتباه بعض المهتمين والباحثين على حد سواء.. من أهم ما شغل هؤلاء هو عدم قدرة المهاجرين البولنديين على التكيف و التعايش مع الثقافة المحلية الجديدة، حيث نتج

عن ذلك ارتفاع في معدلات الانحراف والجريمة.. من أجل ذلك انبرى William Isaac Thomas(1863-1974) للإجابة عن هذا القلق الاجتماعي..

لقد بدأ ويليام توماس البحث في هذا الشأن بمفرده، مستندا في ذلك على تمويل من مؤسسة خاصة. اعتمادا على منهج اثنوغرافي (وصف مفصل لعناصر الحياة الثقافية لجماعات إنسانية)، فقد ذهب إلى لالتقاء بالمهاجرين البولنديين مباشرة وبعد حين اقتنع بأنه يلزمه المعرفة الدقيقة بالوسط الثقافي الأصلي للمبحوثين. من أجل ذلك وجب عليه التحكم في اللغة البولندية، مما اضطره لتعلمها باذلا جهودا كبيرة في سبيل ذلك..

### منهجيته في البحث:

مع توسع احتكاكه بمبجوثيه، وعثوره في الشارع على كيس مملوء برسائل تلقتها إحدى البولنديات من أبيها عدّها كنزا ثمينا من المعطيات ذات الصلة ببحثه، خطرت له فكرة أن يعتمد على منهج جديد ألا و هو منهج قصة الحياة المسماة السيرة الذاتية Autobiographie، أي أن المبحوث نفسه يسرد تفاصيل حياته الشخصية بنفسه. من أجل ذلك، نشر إعلانا في جريدة تهتم بشأن الجالية البولندية بغية جمع رسائل أخرى مماثلة. في السياق نفسه، وتشجيعا لتلقي قصص الحياة لأفراد هذه الجالية، طلب ممن يهمه الأمر أن يتقدم لفعل ذلك مقابل مبلغ مالي..

في الإطار هذا، تقدم إليه أحد البولونيين يسمى: Wladeck Wizniewski كانت تتوفر فيه كل خصائص المبحوث المثالي، فشرع يروي قصة حياته كتابة.. عندما كان يطلع ويليام على فصولها وجد فيها إثارة كبيرة وثناء معرفيا غير متوقع.. فشجعه على مواصلة ذلك.. في غضون ذلك كان يسافر مرات عديدة إلى بولندا بهدف الإلمام بالبيئة الأصلية للجالية المبحوثة لفهم سلوكياتها في و.م.أ من جهة، وتعلم اللغة البولندية الضرورية لعملية التواصل المباشر مع المهاجرين.. في هذه الأثناء و الظروف العلمية حصل له اللقاء مع شخصية سوف يكون لها الأثر البالغ في إعطاء

نفس جديد لمسار البحث.. ألا وهو: Florian Znaniecki الذي كان بارعا في جانب التنظير العلمي، الشيء الذي كان يشكو منه وليام توماس، وكانت بحوثه الإمبريقية الميدانية في أمس الحاجة إليه.. فكانت نتيجة ذلك صدور المؤلف في أبهى حلة ممكنة..

### كتاب الفلاح البولندي:

عنوان الكتاب: الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا، قصة حياة مهاجر. يتألف من خمسة أجزاء ويتجاوز 2200 صفحة، نُشر عام 1918. يتضمن الجزء الثالث منه لوحده تفاصيل حياة المهاجر البولندي: فلداك. يتناول الكتاب محاور سبعة:

- الأسرة المزارعة،
- الزواج،
- نظام الطبقات في المجتمع الفلاحي،
- البيئة الاجتماعية،
- الحياة الاقتصادية،
- المواقف الدينية والسحرية،
- الفوائد النظرية و الجمالية.

### أهم نتائج البحث:

توصل الباحثان إلى أن المهاجرين البولنديين كانوا يعانون من فشل مزمن في عملية الاندماج في المجتمع الجديد. من أجل النجاح في ذلك كان عليهم أن يجتازوا ظاهرتين بحسب الباحثين: Désorganisation/ Réorganisation . كان لابد لهم أن "يفككوا" نسق ثقافتهم الأصلية التي لا تتناسب مع الوسط الجديد، وهذا من الصعوبة بمكان.. وكان عليهم بعد ذلك أن يدخلوا في تنظيم جديد لعناصر ثقافية أخرى تمكنهم من الاندماج في المجتمع الأمريكي.. من أهم الحواجز المسجلة في البحث التي منعتهم من الاندماج هي أن المذهب الديني البولندي كاثوليكي بينما

المذهب السائد في و.م.أ بروتستانتية، النمط الحياتي البولندي ريفي، بينما الأمريكي حضري، الاقتصاد البولندي فلاحى، أما الأمريكي فصناعي..